المحاضرة الثامنة:

الملاحظة العلمية:

تعرف الملاحظة بأنها عملية توجيه الحواس للمشاهدة ومتابعة سلوك معين أو ظاهرة معينة وتسجيل جوانب ذلك السلوك وخصائصه.[1]

و تقوم الملاحظة حسب ما ذكر في مطبوعة خبيزي سامية على أساس ملاحظة سلوك أفراد العينة لغرض رصد وتسجيل تصرفاتهم في مواقف مختلفة، وحتى تكون الملاحظة دقيقة وتعطي النتائج المطلوبة منها، فإنه ينبغي عدم إثارة انتباه الذين تتم ملاحظتهم حتى لا يقوموا بتغيير سلوكهم لمعرفتهم أنهم يخضعون للملاحظة.[2]

وتجدر الإشارة حسب ما ذكره بلحضري بلوفة إلى أن هنالك شروط لابد من أن تتوفر بغية الاستفادة من الملاحظة العلمية، هي:[3]

- أن يكون الملاحظ في وضع جسمي ونفسي ومادي يمكنه من الملاحظة.
- أن يكون مؤهلا للملاحظة من حيث سلامة الحواس وقدرة على الانتباه.
- وأن يتسلح بخطة علمية وعملية تسهل له تسيير مجريات الملاحظة، وما يسهل من هذه المهمة هو تأطير الملاحظة ضمن إشكالية وفرضية مضبوطتين و دقيقتين وقابلتين للقياس من حيث الكم والكيف.
- ومما يجب على الملاحظ التقيد به ايضا ؛ ابتعاده عن الذاتية والتحيز في إدارة الملاحظة، مما يعطي مصداقية وموضوعية في تدوين المالحظات.
- أن يتم تسجيلها بسرعة، إذ يجب أن يستعين الملاحظ بكل وسيلة وأداة تساعده على تدوين الملاحظات بشكل دقيق.

كما أن هناك عدد من الإجراءات الضرورية لاستخدام طريقة الملاحظة كأداة لجمع البيانات والمعلومات، ومن هذه الإجراءات ما يأتي:[4]

أ. تحديد الهدف الذي يسعى الباحث للوصول إليه.

ب. أن يحدد السلوك المراد ملاحظته.

ت. تحديد الفئات أو الأشخاص الذين سيخضعون للملاحظة.

ث. تحديد الوقت اللازم والفترة الزمنية التي تحتاجها الملاحظة.

ج. ترتيب الظروف المكانية والبيئة المطلوبة لإجراء الملاحظة.

ح. تجهيز الأدوات الخاصة بالملاحظة، مثل كاميرا فيديو، أو قائمة عناصر، أو غيرها.

خ. مراعاة أن لا تؤدي الملاحظة إلى تذمر الأشخاص أو استيائهم فيما لو عرفوا أنه تجري مراقبتهم.

د. مراعاة عدم اختراق خصوصيات الأشخاص دون علمهم.

ذ. حصول الباحث على المعلومات المسبقة والكافية عن الظاهرة موضع الدراسة.

ر. تسجيل البيانات والمعلومات بشكل نظامي ودقيق، وتسجيلها مباشرة عقب حدوث السلوك.

ز. تحري الموضوعية والدقة في الملاحظة وأساليبها، وعدم التسرع في تسجيل النتائج.

س. المعرفة التامة بأدوات وأساليب القياس، والإحاطة بما قبل استخدامها.

وتقسم الملاحظة من حيث درجة الضبط إلى نوعين: [5]

- **ملاحظة بسيطة** : هنا يلاحظ الباحث ظاهرة أو حالة دون أن يكون لديه مخطط مسبق لنوعية المعلومات أو الأهداف أو السلوك الذي سيخضعه للملاحظة.
- **ملاحظة منظمة** : هي التي يحدد فيها الباحث المشاهدات أو الحوادث التي يريد أن يجمع عنها البيانات وبالتالي تكون البيانات المجموعة أكثر دقة وتحديدًا عنها في حالة الملاحظة البسيطة.

كما يمكن تقسيم الملاحظة المنظمة من حيث دور الباحث في الظاهرة موضوع الدراسة إلى نوعين أساسيين، هما:[6]

- **الملاحظة بالمشاركة** : في هذا النوع يكون للباحث دور إيجابي وفعّال في إحداث الملاحظة بمعنى أن الباحث يقوم بالدور نفسه ويشارك أفراد الدراسة في سلوكهم والممارسة المراد دراستها.
- **الملاحظة دون مشاركة** :هنا يقوم الباحث بأخذ موقف أو مكان معين ويراقب أحداث الظاهرة دون أن يشارك أفرادها بالدور الذي يقومون به.

وبالنسبة لاستخدام الملاحظة العلمية في البحوث الاعلامية والاتصالية الكمية فيقتصر فقط على أنواع دون أخرى من هذه الأنواع التي تم ذكرها، حيث تعبر الملاحظة البسيطة من المقومات التي يقوم عليها أي بحث علمي مهما كان نوعه، والتي ترافق الباحث منذ الإحساس بالمشكلة العلمية إلى غاية استخلاص النتائج، أما الملاحظة بالمشاركة فيمكن أن تكون لها استخدامات في البحث الكيفي فقط، في حين يمكن أن تستخدم الملاحظة دون مشاركة في كلا من البحثين الكمي والكيفي، ويتوقف ذلك على أهدافها فإذا كانت تستهدف التعمق وملاحظة كل التفاصيل بالاستعانة بدفتر المشاهدة كانت كيفية، وإذا كانت تستهدف ملاحظة بعض المؤشرات فقط المرتبطة بالظاهرة المدروسة بقصد رصد تكراراتها ومن ثم قياسها عدديا بالاستعانة بشبكة الملاحظة، فهي تستخدم هنا في البحوث الكمية.

وتستخدم تقنية الملاحظة باختلاف أنواعها، في:[7]

- المظاهر من السلوك التي لا تسهل دراستها بالوسائل الأخرى.
- الحصول على معلومات عن السلوك في المواقف الطبيعية، مثل سلوك الأطفال أثناء اللعب أو الأكل، أو عن نمط ودرجة التفاعل الاجتماعي بين المجموعات البشرية المختلفة.
- الأنماط الأساسية من السلوك يمكن تشخيصها بملاحظة السلوك والتصرف الطبيعي تحت ظروف يتفاعل فيها الفرد مع العوامل التي تحيطه وتعنيه، مثل ذلك: تحليل سلوك المعلم في الصف عن طريق ملاحظة تصرفاته أثناء قيامه بالتدريس في فصل اعتيادي.

- ملاحظة بعض الظواهر التي يستطيع الباحث السيطرة على عناصرها كما يحدث في تجارب المختبرات في العلوم الطبيعية.
- ملاحظة بعض الظواهر التي لا يستطيع التأثير على عناصرها كما يحدث في علم الفلك.
- جمع البيانات عن ملاحظة سلوك رواد المكتبة أو السوق مثلاً.
- كما تستخدم للملاحظة للتعرف على انطباعات المسافرين أو المراجعين أو الزوار بعد حصولهم على خدمة معينة أو استماعهم لشرح، أو مشاهدتهم لعرض معين حيث يمكن التعرف على مدى رضائهم أو عدم رضائهم عن الخدمة المعلومات المقدمة لهم مما يمكن معه الحصول على بيانات في غاية الأهمية يستفاد منها في تطوير الخدمة أو تحديد موقعها أو تعديل أسلوب تقديمها.

مراجع وهوامش:

1. عمار بوحوش، ومحمد محمود النيبار، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
2. عماد الدين إسماعيل، سعيد، منهج البحث العلمي: أسسه ومناهجه وتقنياته. دار الفكر العربي، القاهرة. مصر، 2010.
3. عبيدات ذوقان وآخرون، أساليب البحث العلمي: منظور تطبيقي، ط6، دار الفكر، عمّان، 2012.
4. عليان ربحي مصطفى، البحث العلمي أسسه ومناهجه وأساليبه وإجراءاته، ط1، بيت الأفكار الدولية، عمان، 2001.
5. رشوان حسين عبد الحميد أحمد، أصول البحث العلمي، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2006.